كلمة وفاء

إلى المرحوم أحمد يوسف بدر

بقلم فايز العمروسى

المدرس بالمنيرة الابتدائية

تتحمل الفجيعة على مرارتها والنفس حزينة دامية ، وتطاق النكبات على فداحتها والقلب جريح محطم ، ولا عزاء فى ذلك كله إلا صفاء الإيمان ، وقوة العزيمة ، وطهارة السريرة ، والوثوق بأن قانون السماء هو رحمة للبشرية فى بقائها أو فنائها !

وهذا عزاؤنا فى فقيد الرجولة والأدب ، المرحوم « أحمد يوسف بدر » أجل : هو عزاؤنا الجميل فيه ، وصبرنا الوادعُ عنه ، وما من شىء فى هذى الحياة يُطمئن النفس فى فجيعة أمل يذوى ، وشباب يذهب ، ونفس عفيفة تكفن ، وخلق برىء يدفن - سوى الشعور العميق بالصبر وان كان جازعا ، وبالعوض وإن كان قاصراً ، وبالسلوى وإن كانت تجيش بالهواتف الأليمة ، والذكر الحزينة !!

* * *

لم يكن شابا يعيش كالشباب ، راضيا بالتافه من الأمل ، مطمئنا إلى القريب من الحظ ، راضخا للواقع من الأمر ، مستكينا لنوازع الخوف ، مستسلما لمَبَاذل الهون . . . !

ولم يكن حيا من الأحياء المنسجمين مع طبيعة السطحية الفائرة ، تُغْريه الطعمة اللذيذة ، والرغبة الوضيعة ، وتغنيه المتعة الحيوية الرخيصة التى يحسبها غيره أقصى مناه ، وغاية ما يرجو فى الحياة من توفيق أو رجاء .

لا . . ولكنه كان شعلة من النشاط ، ووقدة من الذكاء ، وحركة دائبة من العمل ، هذا إلى ما كان فيه من قوة العزيمة ، وصلابة الجلد ، وشرف الرجولة ،

وكمال المروءة : المروءة التى امتزجت بدمه ولحمه ، فأصبحت من ذاته جزءه متمما لها ، ونفحة من نفحات شعوره ووجدانه .

* * *

بدأ الفقيد دراسته فى « دار العلوم » على خير ما يكون التلميذ يقظة فى فكره ، واعتزازا بذاته ، وتفانيا فى القيام بكل واجب له صلة بدراسته ، أو مساس بإنسانيته ، فكان نعم المعين لإخوانه ، يلقون إليه بأمورهم فيحمل ، وينادونه فى شدائدهم فيجيب !

ثم تخرج فيها ، فتلقى الحياة العملية قوياً واثقاً من نفسه ، معتمدا على إخلاصه وجده ، فلم يتراخ فى السعى المشرف ، ولم يضعف أمام ما لاقاه من شدائد وعقبات ، فطورا تراه تاجرا ، وحيناً تراه مدرسا ، وآناتراه صحفيا قديرا ، يعالج من الأمور أهمها ، ومن المسائل أدقها ، وقلمه فى الحركة الفكرية معروف ، وجهاده فى النواحى الأدبية والاجتماعية مشكور !

مواهب ممتازة كتلك ، فى نفس مشبوبة كنفس الفقيد ، فقدها أليم ، والشعور بها آلم وأمر ، وأدهى من هذا وذاك ، أن يطوى فيخمد ذكره النسيان ، وتنهال عليه غفلات البلى والعفا !

ومثله لا يبلى ، فقد عاش كريماً أبيا ، ورحل وفى الحياة ظلال لحياته ، وفى صفحات التقدير سطور وضيئة بمكرماته !

فعزاء إلى « دار العلوم » فى ابنها العبقرى الراحل ! ودمعة منى بافقيد الأدب وفخر الشباب . . . !

قادر العمروسى